من خلال الجملة العفوية البسيطة التي تفوه بها « منشيه بن يسرائيل » يمكن للقارىء تصور مدى الهوة القائمة بين النظرتين المتناقضتين ، النظرة العنصرية الشوفينية التي تمثلها ديموناه **الاسرائيلية** والنظرة الانسانية التسامحية التي تمثلها اريحا **العربية** . ثم انتقل الصحفي الاسرائيلي الى توجيه اسئلة حرجة تمس الصراع العربي الاسرائيلي:

« س : هل تعتبر نفسك « مستوطنا » ؟

ج : (بتحفظ) انني لم أكن في البلاد خلال حرب الايام الستة ، ولا انتمي الى الحرب ، انني لا اتدخل في السياسة بل اعبد الرب . ان حقنا في الوجود هنا حق منحه لنا الرب .

س : ماذا تعني بـ « لنا » لليهود او العرب ؟

ج : انني لا اريد ان اخوض في هذا الموضوع ، لا اريد ان اتطرق الى السياسة او الى الجدل القائم حول لمن تعود هذه الارض . انني على ثقة بان الله هو الذي سيقرر مصير هذه البلاد . ان ذلك فوق طاقتي » .

ولاستكمال الصورة حول نظرة سكان اريحا العرب تجاههم نورد هنا الحديث الذي ادلت به مواطنة عربية من سكان اريحا تدعى امينة زكريا ابراهيم :

« س : اتعرفين معتقدات الشخص الذي استأجر منزلكم ؟

ج : لقد قال لي فور وصوله الى هنا بانه يهودي .

س : بالرغم من ذلك اعطيته المنزل ؟

ج : **لماذا لا ؟ أليس هو انسانا ؟** »(٢٥).

ذكرنا في السابق ان التمييز العنصري الذي واجهه العبرانيون السود في ديموناه لم يقتصر على الاحياء منهم فقط بل شمل ايضا الموتى ، وتمثل ذلك في قضية دفن طفلين من ابناء الطائفة ، التي وجدت حلا لها بمواراتهما التراب بالقرب من المقبرة اليهودية وبناء سور بين الموتى البيض والموتى السود .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هل ستبنى الاسوار حول المقبرة العربية في اريحا في حال وفاة احد اليهود السود ؟ لقد حدث فعلا ان توفي طفل من ابناء الطائفة ، ولم تحدث قضية دفن ، بل تمت عملية دفنه بهدوء ، بواسطة العرب انفسهم بالقرب من مقبرة البلدة دون ان يكون هنالك سور او حائط .

نعود الان الى الحديث حول جانب اخر من قضية العبرانيين السود ، وهو وجه الشبه الكبير بين طلائع المهاجرين اليهود البيض في الربع الاخير من القرن التاسع عشر الذين قدموا الى فلسطين بحجة ان الرب قد منحها لهم ؛ وبين طلائع المهاجرين اليهود السود الذين قدموا الى فلسطين عند بداية الربع الاخير من القرن العشرين بحجة ان الاله قد منحها لهم ايضا .

لقد مر معنا كيف ان اليهود السود قد بلوروا اثناء وجودهم في ديموناه مفاهيم جديدة وطعموا معتقداتهم الدينية بمفاهيم الامة المميزة التي وعد الله انبياءها في الماضي بمنح ذريتهم « أرض الميعاد » ، وكيف انهم يتحدرون من نسل هؤلاء الآباء ، ولذا فان هذه الارض تخصهم وحدهم . ومن اجل الشروع في امتلاك الارض حاول اليهود السود بناء اول مستوطنة تابعة لهم في النقب الا ان السلطات الاسرائيلية حالت دون ذلك .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن : هل العبرانيون السود يعتبرون حركة صهيونية جديدة تحاول أن تظهر على انقاض الصهيونية القائمة ؟ كثيرا ما تلمح المصادر الاسرائيلية باستغراب ودهشة الى اوجه الشبه بين الحركة الصهيونية ومطالب العبرانيين السود، الا انها لم تتطرق الى اسباب ولادة « الحركة الصهيونية السوداء » ، وهنالك من بين الاسرائيليين من يخرج عن اطار التلميحات ، ويدخل اطار الحلم ، ليروي لنا ولادة الحركة الصهيونية السوداء وولادة الدولة العبرية السوداء على انقاض الحركة الصهيونية